مجلة آمنير للدراسات والبحوث
E-ISSN: 3088-9006 -ISSN: 2992-2135
المجلد 03 عدد خاص / جويلية 2026

"أثر السياق في توجيه الدلالة وتجديد قراءة الخطاب القرآني : قصة شعيب عليه السلام نموذجًا"

هاجر نصري[1]
[1]المدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة، الجزائر
nasri.hadjer@ens-bousaada.dz

استلم: 15-07-2026، مقبول: 18-07-2026، نشر: 29-07-2026

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية السياق في فهم الخطاب القرآني وتوجيه دلالاته، باعتباره عنصرًا أساسيًا في الكشف عن مقاصد النص ومعانيه العميقة. فالقرآن الكريم لا يُفهم من خلال الوقوف عند المعنى المعجمي للألفاظ فقط، وإنما من خلال ربطها بسياقاتها المختلفة: اللغوية، والمقامية، والتاريخية. وتسعى الدراسة إلى بيان دور السياق في تجديد قراءة الخطاب القرآني من خلال تحليل قصة شعيب عليه السلام، والكشف عن القيم التي يحملها خطابها في مجال الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي

كما تهدف إلى إبراز أثر المعطيات السياقية في توجيه المعنى القرآني وترجيح الدلالات المحتملة، مما يسهم في فهمٍ أكثر شمولًا ودقةً للخطاب القرآني، ويكشف عن أبعاده التربوية والدعوية والإصلاحية، ومدى صلاحيتها للاستفادة منها في معالجة قضايا الواقع المعاصر.

الكلمات المفتاحية: **التجديد، الخطاب القرآني، الدلالة، السياق، قصة شعيب عليه السلام.**

ABSTRACT:

This study aims to highlight the importance of context in understanding Qur'anic discourse and guiding its meanings, considering it a fundamental element in uncovering the objectives of the Qur'anic text and its profound implications. The Holy Qur'an cannot be adequately understood merely through the lexical meanings of its words; rather, its meanings are revealed by examining its various contexts, including the linguistic, situational, and historical contexts.

The study further seeks to demonstrate the role of context in renewing the reading of Qur'anic discourse through an analytical examination of the story of Prophet Shuʿayb (peace be upon him), while exploring the values embodied in his discourse, particularly those related to social and economic reform.

Moreover, the research aims to illustrate the impact of contextual factors on directing Qur'anic meaning and determining the most appropriate among its possible interpretations. Such an approach contributes to a more comprehensive and accurate understanding of Qur'anic discourse and reveals its educational, missionary, and reformative dimensions, as well as its relevance and applicability to addressing contemporary issues.

Keywords: Context; Qur'anic Discourse; Meaning; Renewal; The Story of Prophet Shuʿayb (Peace Be Upon Him).

*هاجر نصري

مقدمة

يتميَز خطاب القرآن الكريم – باعتباره كتاب هداية وتشريع- بالإحكام والدقة في اختيار ألفاظه وتراكيبه، بحيث لا تُفهم دلالاته على الوجه الصحيح إلا في ضوء السياقات التي ترد فيها ألفاظه وآياته. فالمعنى القرآني لا يتحدد بالمعنى المعجمي للمفردات وحده، وإنما يتشكل من خلال شبكة من العلاقات اللغوية والموضوعية والمقامية التي تربط أجزاء الخطاب بعضها ببعض، وهو ما جعل علماء التفسير منذ العصور الأولى يولون عناية كبيرة للسياق، ويعدّونه من أهم القرائن المعينة على ترجيح المعاني، والكشف عن مقاصد النص، ودفع ما قد يعرض له من إشكال أو احتمال.وقد أدرك المفسرون والأصوليون أن إغفال السياق كان سببًا في كثير من مظاهر الخطأ في فهم النصوص الشرعية، لأن اقتطاع الآية من سياقها، أو حملها على معنى معجمي مجرد، قد يؤدي إلى نتائج تخالف مراد الخطاب القرآني. ولذلك أكد علماء التفسير أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وأن الآيات لا تُفهم منفصلة عن بنائها النصي ووحدة موضوعها، بل يُنظر إليها في إطار السورة التي وردت فيها، وفي ضوء أسباب النزول، ومقتضى المقام، ومقاصد الشريعة، بما يحقق التكامل بين أجزاء الخطاب ويكشف عن دلالاته الدقيقة.

وفي الدراسات القرآنية المعاصرة، ازداد الاهتمام بالمنهج السياقي بوصفه أحد المناهج العلمية القادرة على تجديد قراءة الخطاب القرآني، لا بمعنى تجاوز دلالاته الثابتة أو إخضاعه لقراءات منفلتة، وإنما من خلال استيعاب بنيته اللغوية ومقاصده الكلية، وربط هداياته بالوقائع المتجددة التي يعيشها الإنسان. ومن ثم فإن التجديد في قراءة القرآن لا يتحقق بتغيير معانيه أو صرفها عن مدلولاتها، وإنما بإعادة اكتشاف ما يختزنه النص من دلالات قابلة للاستثمار في ضوء الضوابط التي قررها علماء التفسير وأصول الفقه، وهو ما يؤكد عالمية القرآن وصلاحيته لهداية الناس في كل زمان ومكان.

تبرز قصة شعيب عليه السلام من بين القصص القرآني نموذجًا تطبيقيًا واضحًا لدراسة أثر السياق في توجيه الدلالة؛ إذ تتوزع أحداثها في أكثر من سورة، مع احتفاظها بوحدة موضوعية تتمثل في الدعوة إلى توحيد الله، وإقامة العدل، ومحاربة الفساد الاقتصادي والاجتماعي.

ويكشف النظر في سياقات هذه الآيات أن الخطاب القرآني لم يقتصر على سرد أحداث تاريخية، بل قدم نموذجًا إصلاحيًا متكاملًا تتداخل فيه الأبعاد العقدية والأخلاقية والاجتماعية والحجاجية، بما يجعل القصة مجالًا خصبًا للكشف عن أثر السياق في بناء المعنى وإبراز مقاصد الخطاب.

وانطلاقًا من ذلك، تتمثل إشكالية هذا البحث في السؤال الآتي :**كيف يسهم السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني، وما أثره في تجديد قراءته في ضوء قصة شعيب عليه السلام؟** ويهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم السياق وأهميته في فهم الخطاب القرآني، والكشف عن أثره في توجيه الدلالة، وبيان دوره في إبراز المقاصد القرآنية، مع تطبيق ذلك على قصة شعيب عليه السلام؛ لإظهار الكيفية التي يسهم بها المنهج السياقي في استنباط الدلالات المتجددة للنص القرآني، دون إخراجه عن أصول التفسير وضوابطه العلمية.

أولا: السياق في الخطاب القرآني: المفهوم والأهمية

1/ مفهوم السياق في الدراسات اللغوية والقرآنية:

يُعدُّ السياق من أهم المصطلحات التي اكتسبت مكانة بارزة في الدراسات اللغوية والقرآنية؛ إذ يمثل الأداة المنهجية التي يُستعان بها في الكشف عن المعنى المراد من الخطاب، وترجيح أحد المعاني المحتملة عند تعدد الدلالات. ولا يقتصر مفهوم السياق على ما يحيط باللفظ من ألفاظ داخل التركيب، وإنما يمتد ليشمل المقام الذي ورد فيه الكلام، والظروف التي أحاطت به، والغاية التي سيق من أجلها، مما يجعل فهم النص مرتبطًا ببنيته الكلية لا بألفاظه المفردة فحسب.

✓ **السياق لغةً:**

يرجع لفظ **السياق** إلى الجذر اللغوي (س و ق)، الذي يدل على التتابع والاتصال والقيادة. يقال: ساق الإبل يسوقها سوقًا إذا تقدَّمها أو دفعها متتابعة، ومنه قيل: تساوقت الأشياء إذا تتابعت واتصل بعضها ببعض. ومن هذا الأصل اللغوي نشأت الدلالة الاصطلاحية للسياق، إذ إن أجزاء الكلام يسوق بعضها بعضًا، ويترابط أوله بآخره حتى يكتمل المعنى.

وقد أشار علماء اللغة إلى أن معنى السوق يفيد ضمَّ الشيء إلى غيره على وجه التتابع والانتظام، وهو ما يجعل استعمال لفظ "السياق" في الخطاب دالًا على ترابط الألفاظ والمعاني داخل النص الواحد، بحيث لا يُفهم جزء منه بمعزل عن بقية أجزائه (ابن فارس، *مقاييس اللغة*، مادة (سوق)؛ ابن منظور، *لسان العرب*، مادة (سوق) دار صادر، بيروت، ج7، ص166).

✓ **السياق اصطلاحًا:**

لم يضع علماء التفسير الأوائل تعريفًا اصطلاحيًا جامعًا للسياق، إلا أنهم مارسوا تطبيقه عمليًا في تفسير القرآن الكريم؛ إذ كانوا يقررون أن الآية يُفسر بعضها بعضًا، وأن النظر في السابق واللاحق من أهم وسائل معرفة المراد. ومع تطور الدراسات اللغوية أصبح السياق يُعرف بأنه :**مجموعة القرائن اللفظية والحالية التي تحيط بالنص، وتسهم في تحديد دلالته، وتوجيه معناه إلى الوجه الذي يقتضيه الخطاب** .وعلى هذا الأساس فإن السياق لا يقتصر على انتظام الألفاظ داخل الجملة، بل يشمل وحدة السورة، وترابط الآيات، وأسباب النزول، وأحوال المخاطبين، ومقاصد الخطاب، لأن جميع هذه العناصر تشترك في توجيه الدلالة ومنع حمل النص على غير مراده. ولذلك عدَّه علماء أصول التفسير من أقوى القرائن في بيان المعنى وترجيح الأقوال المختلفة. (ينظر: بدر **الدين الزركشي**، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م، **ج2، ص192-195/ جلال الدين السيوطي**، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، **ج2، ص181-184**.)

2/ أهمية السياق في فهم الخطاب القرآني

يحتل السياق مكانة محورية في تفسير القرآن الكريم؛ لأن الخطاب الإلهي يقوم على ترابط محكم بين ألفاظه وآياته وسوره، بحيث تتكامل أجزاؤه في بناء المعنى. ومن ثم فإن الوقوف عند المعنى المعجمي للألفاظ دون مراعاة السياق قد يؤدي إلى سوء الفهم أو ترجيح معنى غير مراد.

وقد تنبه المفسرون منذ وقت مبكر إلى هذه الحقيقة، فكانوا يستدلون بالسياق في بيان مرجع الضمائر، وتحديد دلالة الألفاظ المشتركة، والكشف عن المحذوف، وبيان العلاقات بين

الآيات، وترجيح أحد الأقوال التفسيرية عند اختلافها. ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، وأن وحدة السورة تمثل عنصرًا أساسيًا في فهم مقاصدها (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج2، ص181-184)

ومن أبرز وظائف السياق أنه يحدد المعنى المقصود من الألفاظ المشتركة. فكلمة **الأمة** مثلًا وردت في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة؛ فقد جاءت بمعنى الجماعة في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: 23]، وجاءت بمعنى الإمام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، كما جاءت بمعنى الزمن في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45]. ولم يكن بالإمكان تعيين المعنى المقصود في كل موضع لولا القرائن السياقية التي أحاطت باللفظ.

ولا يقتصر أثر السياق على توجيه دلالة المفردات، بل يمتد إلى فهم البناء الكلي للخطاب؛ إذ قد تُفهم الآية فهمًا مجتزأً إذا عُزلت عن سياقها. ومن أشهر الأمثلة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: 4]، فإن الوقوف عند هذا الجزء يوهم عموم الوعيد لجميع المصلين، بينما يرفع السياق هذا الإيهام بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5]، فيتحدد المقصود بالوعيد من خلال اتصال الآيات بعضها ببعض.

ومن هنا يتبين أن السياق ليس وسيلة تفسيرية ثانوية، بل هو أصل من أصول فهم الخطاب القرآني، لأنه يجمع بين سلامة الفهم اللغوي، وإدراك المقاصد الشرعية، وربط أجزاء النص بعضها ببعض. وهذا ما يفسر عناية المفسرين قديمًا وحديثًا بالنظر السياقي، وعدَّه أحد الضوابط المنهجية التي تحول دون التفسير المجتزأ أو التأويل البعيد عن دلالة النص.

ثانيا: أثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني

يُعدُّ السياق من أهم القرائن التي يعتمد عليها المفسر في الكشف عن مراد الله تعالى من خطابه؛ إذ لا تُفهم دلالات الألفاظ والتراكيب القرآنية بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه. فالقرآن الكريم ليس مجموعة من الآيات المستقلة، وإنما هو خطاب متكامل تتآزر أجزاؤه في بناء المعنى، بحيث يفسر بعضه بعضًا، وتتكامل آياته وسوره في بيان المقاصد الشرعية. ومن هنا كان

النظر إلى السياق ضرورة منهجية لفهم النص القرآني فهمًا صحيحًا، لأنه يحدد الدلالة المقصودة، ويرفع الإشكال، ويمنع حمل النص على غير مراده.

1/ أثر السياق في توجيه دلالة الألفاظ القرآنية

تتميز اللغة العربية باتساع دلالاتها، فكثير من ألفاظها مشترك بين معانٍ متعددة، ولا يمكن تعيين المعنى المراد إلا بالنظر إلى السياق الذي ورد فيه اللفظ. ولما كان القرآن الكريم قد نزل بأفصح أساليب العربية، فقد جاءت ألفاظه حاملة لثراء دلالي لا يُدرك إلا من خلال القرائن السياقية. يوُعدّ السياق من أهم الأدوات المنهجية في فهم الخطاب القرآني، إذ لا يكفي الوقوف عند المعنى اللغوي أو المعجمي للألفاظ للوصول إلى المراد الإلهي، لأن كثيرًا من ألفاظ القرآن تتميز بالاشتراك اللفظي وتعدد الدلالات، فلا يتحدد معناها الحقيقي إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، وما يسبقها وما يلحقها من ألفاظ، وبحسب المناسبة التي نزلت فيها، أو المقصد الذي سيقت من أجله(عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992، ص52–58؛ ومحمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج1، ص33–38).

ومن أمثلة ذلك لفظ **الأمة**، فقد ورد في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة؛ فجاء بمعنى الجماعة في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: 23]، وجاء بمعنى الإمام والقدوة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، كما جاء بمعنى الزمن في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45]. ولم يكن اختلاف هذه المعاني راجعًا إلى تغير مدلول اللفظ في ذاته، وإنما إلى اختلاف السياقات التي ورد فيها، وهو ما يدل على أن السياق يمثل الضابط الأساس في تعيين الدلالة. (بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص200–205).

ومن الأمثلة على ذلك أيضا لفظ **"الفتنة "**في القرآن الكريم، فقد ورد بمعنى الابتلاء والاختبار في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾]العنكبوت: 2[، بينما جاء بمعنى الشرك في قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾]البقرة: 191 .[وهذا التعدد

في الدلالة لا يُفهم إلا بالنظر إلى سياق كل آية، وهو ما أكده علماء التفسير واللغة. (محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، ص40–45).

وينطبق الأمر نفسه على كثير من الألفاظ القرآنية، مثل ألفاظ :**الكتاب، والروح، والهدى،** وغيرها من الألفاظ التي تتعدد معانيها بحسب السياق. ولذلك قرر المفسرون أن اللفظ لا يُفسر بمجرد معناه المعجمي، وإنما بما يقتضيه نظام الكلام وسياقه، لأن المعنى السياقي هو الذي يعبر عن المراد الحقيقي للخطاب.

ولا يقتصر أثر السياق على الألفاظ المشتركة، بل يشمل الألفاظ العامة والمطلقة؛ إذ قد يرد اللفظ عامًا، ثم يبين السياق حدود عمومه، أو يرد مطلقًا فتقيده القرائن السياقية، وبذلك يتحقق الانسجام بين أجزاء النص، ويزول ما قد يتراءى من تعارض أو إبهام.

2/ أثر السياق في توجيه دلالة التراكيب القرآنية

إذا كان السياق يوجه دلالة المفردات، فإنه يؤدي دورًا أكبر في بيان دلالة التراكيب؛ لأن المعنى في القرآن الكريم لا يتولد من الألفاظ منفردة، وإنما من العلاقات التي تربط بينها داخل الجملة، ثم داخل الآيات والسورة بأكملها.

ويظهر ذلك في الآيات التي قد يُتوهم معناها إذا قُطعت عن سياقها. فمن أشهر الأمثلة قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: 4]، إذ قد يفهم من هذه الآية - إذا قُرئت منفردة - أن الوعيد يشمل جميع المصلين، غير أن اتصالها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5] يبين أن الوعيد إنما هو لمن اتصف بالغفلة عن الصلاة والاستخفاف بها، لا لكل مصلٍّ. وهكذا يتولى السياق إزالة الإيهام، وتحديد المراد من الخطاب.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، فإن فهم هذه الآية لا يكتمل إلا بالنظر إلى سياقها الذي يتحدث عن وضوح الحق وتميزه عن الباطل، وعن حرية الإنسان في اختيار الاعتقاد بعد قيام الحجة عليه، مما يمنع تحميل الآية دلالات لا يحتملها السياق. كما يظهر أثر السياق في تحديد مرجع الضمائر، والكشف عن المحذوف، وبيان العلل والغايات، وترتيب الأحكام، وهي أمور اعتمد عليها المفسرون في ترجيح الأقوال المختلفة، لأن انتظام الكلام

وترابطه يعد من أقوى الأدلة على المعنى الصحيح. (ابن عطية:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص341-344.).

3/ السياق وعلاقته بالتفسيروالتأويل

احتل السياق مكانة بارزة في مناهج التفسير؛ إذ اعتمد عليه المفسرون في الكشف عن مراد الله تعالى، وترجيح الأقوال المختلفة عند تعددها. وقد قرر علماء التفسير أن حمل الآية على ما يوافق سياقها أولى من حملها على معنى يقطعه عن نظم الكلام أو مقصوده، لأن وحدة الخطاب القرآني تقتضي النظر إلى الآية في إطارها الذي وردت فيه.

ولا يقتصر دور السياق على بيان المعنى الظاهر، بل يمتد إلى ضبط عملية التأويل، بحيث يمنع صرف النص عن ظاهره بغير دليل معتبر. فالتأويل المقبول هو الذي تؤيده اللغة والسياق وسائر الأدلة الشرعية، أما التأويل الذي يصادم السياق أو يهمل القرائن المحيطة بالنص، فإنه يخرج عن حدود التفسير العلمي إلى التحكم في دلالة النص. ومن هنا أكد علماء أصول التفسير أن السياق يعد من المرجحات الأساسية بين الأقوال التفسيرية، وأن إهماله يؤدي في كثير من الأحيان إلى سوء الفهم أو إلى تحميل النص ما لا يحتمله من المعاني. (ابن تيمية، *مقدمة في أصول التفسير*، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ص93-101).

4/ السياق وتجديد قراءة الخطاب القرآني

لا يعني تجدد قراءة الخطاب القرآني إعادة تفسيره بعيدًا عن أصوله أو إخضاعه لمقتضيات الواقع دون ضابط، وإنما يعني إعادة النظر في النص في ضوء قواعده اللغوية والسياقية ومقاصده العامة؛ للكشف عن الهدايات التي تتصل بقضايا الإنسان المتجددة. ومن ثم فإن التجديد لا يكون في النص، وإنما في آليات الفهم واستنباط الدلالات.

ويؤدي السياق دورًا محوريًا في هذا التجديد؛ لأنه يحافظ على المعنى الأصلي للنص، وفي الوقت نفسه يفتح المجال لاستنباط تطبيقاته في الوقائع المستجدة. فالسياق يمنع القراءة

المجزأة التي تعزل الآية عن نظامها، كما يمنع إسقاط المعاني المعاصرة على النص دون مستند علمي، وبذلك يجمع بين المحافظة على ثبات النص ومرونة فهمه.

وانطلاقًا من ذلك، فإن التجديد المنضبط يقوم على مراعاة وحدة الخطاب القرآني، والرجوع إلى أسباب النزول، واستحضار مقاصد الشريعة، والاستفادة من جهود المفسرين، مع قراءة النص في ضوء القضايا التي يواجهها الإنسان في كل عصر. وهذا المنهج هو الذي يكفل استمرار فاعلية الخطاب القرآني، ويبرز عالميته وصلاحيته للهداية والإصلاح في مختلف البيئات والأزمنة.

وبذلك يتضح أن السياق ليس مجرد عنصر مساعد في التفسير، وإنما يمثل أساسًا منهجيًا في فهم القرآن الكريم، وتوجيه دلالاته، وترجيح معانيه، وربط نصوصه بعضها ببعض، بما يحفظ وحدة الخطاب القرآني، ويكشف عن مقاصده، ويفتح المجال لقراءة علمية متجددة منضبطة بضوابط التفسير وأصوله.

ثالثا: أثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني في قصة شعيب عليه السلام

1/ السياق العقدي في قصة شعيب عليه السلام

تمثل قصة شعيب عليه السلام نموذجًا قرآنيًا بارزًا للكشف عن أثر السياق في توجيه الدلالة؛ إذ لم ترد في موضع واحد من القرآن الكريم، وإنما توزعت في سور متعددة، منها: الأعراف، وهود، والشعراء، والعنكبوت، وقد جاء عرضها في كل سورة منسجمًا مع مقصدها العام، مع احتفاظ القصة بوحدة موضوعها وأهدافها. ويؤكد هذا التنوع أن القرآن لا يكرر القصص لمجرد الإعادة، وإنما يعيد عرضها في سياقات مختلفة؛ لإبراز أبعاد دلالية تتلاءم مع البناء الموضوعي لكل سورة.

ويعد السياق العقدي المحور الرئيس في خطاب شعيب عليه السلام، إذ يبدأ في جميع المواضع بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك، قبل الانتقال إلى معالجة مظاهر الفساد الاجتماعي والاقتصادي. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾] الأعراف: 85.]

مجلة آمنير
المجلد03 عدد خاص / جويلية 2026

يفيد افتتاح الخطاب بالأمر بعبادة الله وحده أن إصلاح العقيدة يمثل الأساس الذي يقوم عليه الإصلاح الشامل في التصور القرآني؛ فالسياق لم يبدأ بالنهي عن الغش أو الفساد الاقتصادي، مع أنهما كانا من أبرز انحرافات قوم شعيب، وإنما بدأ بإصلاح العلاقة بين العبد وربه. وهذا الترتيب ليس عرضًا عفويًا، بل يكشف عن نسق قرآني يتكرر في دعوات الأنبياء جميعًا، حيث تُقدَّم قضية التوحيد على سائر قضايا الإصلاح؛ لأن العقيدة الصحيحة هي المنطلق الذي يوجّه السلوك ويضبط القيم ويؤسس للعدل بين الناس. ويظهر هذا المعنى بوضوح عند مقارنة افتتاح قصة شعيب بقصص نوح وهود وصالح عليهم السلام، إذ تتكرر الصيغة نفسها: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، وهو ما يدل على وحدة الرسالة الإلهية واختلاف صور الانحراف التي واجهها كل نبي.

ولا يقتصر أثر السياق العقدي على تقرير أصل التوحيد، بل يمتد إلى تفسير ما يليه من أوامر ونواهٍ. فالأمر بإيفاء الكيل والميزان، والنهي عن بخس الناس أشياءهم، لا يردان في القصة بوصفهما تعليمات اقتصادية مجردة، وإنما يأتيان بوصفهما ثمرة من ثمار الإيمان بالله. ومن ثم فإن الترابط بين العقيدة والسلوك في سياق القصة يؤكد أن الانحراف الأخلاقي ليس ظاهرة مستقلة عن الانحراف العقدي، وإنما هو أثر من آثاره. ولذلك لا يمكن فصل الأحكام العملية عن الأساس الإيماني الذي تقوم عليه.

ومن مظاهر السياق العقدي أيضًا تكرار تذكير قوم شعيب بنعم الله تعالى وآثار قدرته، كما في قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾]الأعراف: 86 .[فالآية لا تورد هذه النعمة على سبيل الإخبار التاريخي فحسب، وإنما جاءت في سياق إقامة الحجة على القوم؛ إذ إن استحضار نعم الله يستلزم شكره بتوحيده وطاعته، ويجعل مخالفة أوامره لونًا من ألوان الجحود. ومن هنا يتبين أن الاحتجاج بالنعم الإلهية في القصة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقصد العقدي للخطاب. (الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج13، ص78-84).

كما يتجلى البعد العقدي في ردود قوم شعيب على دعوته، فقد انصرفوا عن مناقشة مضمون دعوته إلى السخرية من رسالته والاعتراض على ما تقتضيه من تغيير في واقعهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾]هود: 87 .[ويكشف السياق هنا أن رفضهم لم يكن ناشئًا عن شبهة علمية، وإنما عن تعارض الدعوة مع مصالحهم الاقتصادية وموروثهم العقدي. ولذلك جمع اعتراضهم بين التمسك بعبادة الآباء والاعتراض على إصلاح المعاملات المالية، بما يدل على أن الفساد العقدي والفساد الاقتصادي كانا متلازمين في بنية المجتمع المديني.

وتبرز دقة السياق القرآني في جواب شعيب عليه السلام، إذ لم يدخل في جدل نظري مجرد، وإنما أعاد ربط القضية بالوحي والرسالة، فقال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾]هود: 88 .[فالسياق ينقل الحوار من مستوى التقليد والمصلحة إلى مستوى البرهان والاحتكام إلى الوحي، وهو ما يكشف أن الدعوة القرآنية لا تقوم على الإكراه، وإنما على إقامة الحجة وإظهار الدليل.

ومن خلال هذا البناء السياقي يتبين أن البعد العقدي في قصة شعيب لا يمثل مقدمة شكلية للخطاب، بل هو الإطار الذي تنتظم فيه بقية القضايا التي تناولتها القصة. فكل توجيه أخلاقي أو اقتصادي يرد في سياقها يجد أساسه في توحيد الله تعالى، وكل انحراف اجتماعي يُرد في النهاية إلى خلل في التصور العقدي. وهذا التكامل بين العقيدة والسلوك يمثل إحدى السمات البارزة للخطاب القرآني، ويؤكد أن فهم القصة لا يكتمل إلا بمراعاة السياق الذي انتظمت فيه آياتها، بعيدًا عن تجزئة النص أو فصل بعض عناصره عن بعض.

2/ السياق الاجتماعي والاقتصادي و أثره في توجيه الدلالة

يُعدُّ البعد الاجتماعي والاقتصادي من أبرز السمات التي امتازت بها قصة شعيب عليه السلام، إذ لم يقتصر الخطاب القرآني فيها على معالجة الانحراف العقدي، بل انتقل إلى معالجة السلوك الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائدًا في مجتمع مدين. ويكشف السياق القرآني أن فساد المعاملات لم يكن سلوكًا فرديًا معزولًا، وإنما كان ظاهرة اجتماعية متجذرة انعكست آثارها

على حياة المجتمع بأسره، ولذلك جاء الخطاب القرآني ليعالج أسبابها العقدية والأخلاقية، لا مظاهرها الخارجية فحسب.

قال تعالى: ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ **[الأعراف: 85].**

يكشف السياق عن ترابط وثيق بين هذه الأوامر والنواهي؛ فالأمر بإيفاء الكيل والميزان لا ينفصل عن النهي عن بخس الناس حقوقهم، كما أن النهي عن الإفساد في الأرض جاء نتيجة طبيعية لما يترتب على الظلم الاقتصادي من اضطراب الحياة الاجتماعية. وهذا التدرج في بناء الخطاب يدل على أن القرآن لا يعالج جزئيات منفصلة، وإنما يقدم منظومة إصلاحية متكاملة تبدأ بإقامة العدل في المعاملات وتنتهي بالمحافظة على استقرار المجتمع.

ويلاحظ أن الخطاب لم يقتصر على النهي عن إنقاص المكيال والميزان، وإنما عبر بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، وهو تعبير أعم وأشمل؛ لأن لفظ **الأشياء** يشمل كل حق يثبت للإنسان، سواء تعلق بالبيع والشراء أو بالحقوق المالية أو المعنوية. ومن ثم فإن السياق ينقل الدلالة من صورة خاصة من صور الغش إلى قاعدة عامة تقوم على احترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها. وهذا الاتساع في الدلالة ليس خروجًا عن معنى الآية، وإنما هو نتيجة لعموم اللفظ في سياقه، وهو ما قرره المفسرون عند بيان شمول النهي لكل صور البخس والظلم.

كما أن اقتران الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالنهي عن الإفساد في الأرض يدل على أن القرآن ينظر إلى العدالة الاقتصادية بوصفها ركيزة من ركائز العمران الإنساني؛ لأن اختلال المعاملات يؤدي إلى فقدان الثقة بين أفراد المجتمع، وانتشار الظلم، واضطراب النظام الاجتماعي. ولذلك لم يعالج القرآن الغش التجاري بوصفه مخالفة مالية فحسب، بل بوصفه صورة من صور الإفساد في الأرض التي تهدد استقرار المجتمع وتناقض مقاصد الشريعة في حفظ الأموال والحقوق.

وتؤكد الآيات الواردة في سورة هود هذا المعنى، إذ قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85]. فقد أضافت

مجلة آمنير
المجلد03 عدد خاص / جويلية 2026

الآية قيد **بالقسط**، وهو قيد يبين أن المطلوب ليس مجرد الوفاء الشكلي بالمكيال والميزان، وإنما تحقيق العدل الكامل في جميع صور التعامل. كما أن استعمال لفظ **تعثوا** يدل على المبالغة في الإفساد، بما يصور ما بلغ إليه مجتمع مدين من انتشار الفساد حتى أصبح سمة عامة لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

ومن خلال هذا السياق يتضح أن القرآن لا يعالج قضية تاريخية انتهى زمنها، وإنما يقرر مبدأً تشريعيًا عامًا يقوم على صيانة الحقوق وتحقيق العدالة ومنع الاستغلال. غير أن هذا المعنى لا يستفاد من إسقاطات خارجية على النص، وإنما من البناء السياقي للآيات نفسها، الذي يكشف عن العلاقة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق والمعاملات، ويجعل إصلاح الاقتصاد جزءًا من الإصلاح الشامل الذي جاءت به الرسالات الإلهية.

ومن ثم فإن القراءة السياقية لقصة شعيب عليه السلام تؤكد أن العدالة الاقتصادية في التصور القرآني ليست قضية تنظيمية فحسب، وإنما قيمة إيمانية وأخلاقية تتصل بحفظ كرامة الإنسان، وصيانة حقوقه، وإقامة المجتمع على أسس من الصدق والأمانة والإنصاف.

3/السياق الحجاجي في خطاب شعيب عليه السلام

يمثل الحوار الذي دار بين شعيب عليه السلام وقومه نموذجًا قرآنيًا بديعًا للحجاج القائم على الحكمة وإقامة البرهان، حيث يكشف السياق عن تنوع الوسائل الإقناعية التي اعتمدها النبي في دعوته، كما يكشف في المقابل عن طبيعة الاعتراضات التي تمسك بها قومه، الأمر الذي يجعل البعد الحجاجي عنصرًا أساسيًا في فهم دلالة الخطاب القرآني في هذه القصة.

بدأ شعيب عليه السلام خطابه بنداء قومه بقوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾، وهو نداء يتكرر في معظم مقاطع القصة، ويحمل دلالات القرب والانتماء والشفقة، مما يعكس حرصه على هدايتهم، ويؤكد أن الحوار القرآني يقوم على مخاطبة المخالف بلغة الاحترام قبل الانتقال إلى الاحتجاج

عليه. ويكشف هذا النداء عن أن الدعوة لا تنطلق من موقف خصومة، وإنما من إرادة الإصلاح والخير للمخاطبين.

ثم اعتمد شعيب عليه السلام في حجاجه على إقامة البرهان، فقال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: 88]. وقد جاء الاستفهام هنا لا لطلب الجواب، وإنما لإلزام المخاطبين بالتفكير في قوة الحجة التي جاء بها، وإبعاد النقاش عن التقليد الأعمى والمصالح الشخصية إلى مجال الدليل والبرهان. كما أن ذكر **البينة** يدل على أن الرسالات الإلهية تقوم على الوضوح والحجة، لا على الإكراه أو المصادرة.

ويواصل شعيب عليه السلام بناء حجته بقوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88]. ويبرز السياق هنا جانبًا أخلاقيًا في الحجاج؛ إذ يؤكد الداعي أنه أول الملتزمين بما يدعو إليه، وأن غايته الإصلاح لا تحقيق منفعة شخصية. ومن ثم فإن الخطاب لا يكتفي بإقامة الدليل العقلي، بل يعزز صدقه بموافقة القول للعمل، وهو من أقوى وسائل الإقناع في القرآن الكريم.

وفي المقابل، يكشف السياق عن ضعف حجج قوم شعيب، إذ لم يناقشوا الأدلة التي قدمها، وإنما لجأوا إلى السخرية والطعن، فقالوا: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: 87]. ويبين هذا الرد أن اعتراضهم كان قائمًا على التمسك بالتقليد، والدفاع عن المصالح الاقتصادية، لا على مناقشة مضمون الدعوة. ومن هنا تتجلى وظيفة السياق في الكشف عن الخلفيات الفكرية والاجتماعية التي حكمت موقفهم، وبيان أن رفضهم للرسالة لم يكن ناتجًا عن غموض الحجة، وإنما عن الإصرار على المحافظة على واقعهم الفاسد.

وتبلغ المواجهة ذروتها عندما يهدد القوم نبيهم بالإخراج والرجم، فيقابل ذلك بالتوكل على الله والثبات على الحق، مما يبرز أن الحجاج في القرآن لا ينتهي عند إقامة الدليل، بل يمتد إلى الثبات على المبدأ والصبر على الأذى. وهكذا تتكامل عناصر الحوار في القصة بين حسن الخطاب، وقوة البرهان، ووضوح المقصد، وثبات الداعية، في مقابل التعصب والمغالطة ورفض الحق.

(جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، **ج15، ص362-375**)عند تفسير حوار شعيب مع قومه في القرآن الكريم، الآيات 84-95).

وبذلك يتبين أن السياق الحجاجي في قصة شعيب عليه السلام لا يقتصر على عرض حوار تاريخي، وإنما يقدم منهجًا قرآنيًا في الدعوة والإقناع، يقوم على مخاطبة العقل والوجدان، وربط الحجة بالسلوك، وإقامة الإصلاح على أساس من البيان والحكمة. وهذا ما يجعل القصة نموذجًا تطبيقيًا لأثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني، وإبراز مقاصده الإصلاحية في مختلف البيئات والأزمنة.

رابعا: القيمة التجديدية للسياق في قراءة الخطاب القرآني

إن التجديد في قراءة الخطاب القرآني من القضايا التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات القرآنية المعاصرة، غير أن هذا التجديد لا يعني إعادة إنتاج معانٍ لا يحتملها النص، أو إخضاعه لمقتضيات الواقع بعيدًا عن أصول التفسير، وإنما يقصد به استثمار الطاقات الدلالية التي يزخر بها القرآن الكريم في ضوء قواعد اللغة العربية، والسياق، ومقاصد الشريعة، بما يحافظ على ثبات النص ويجدد آفاق فهمه. ومن هنا يبرز السياق بوصفه أحد أهم الضوابط المنهجية التي تجعل التجديد قائمًا على أسس علمية، فلا يتحول إلى تأويل متكلف أو قراءة منفصلة عن مراد الخطاب.

1/ السياق أساس التجديد المنضبط في فهم الخطاب القرآني

يمتاز القرآن الكريم بكونه خطابًا خالدًا صالحًا لكل زمان ومكان، وهذه الصلاحية لا تعني تغير دلالاته بتغير العصور، وإنما تعني قدرة النص على استيعاب الوقائع المتجددة في إطار معانيه الثابتة ومقاصده الكلية. ولذلك كان السياق من أهم الوسائل التي تحفظ للنص ثباته، وتمنح القارئ القدرة على استنباط هداياته في ضوء المستجدات دون الإخلال بدلالاته الأصلية. (البرهان *في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج2، ص192-195.)

فالمفسر لا يبدأ من الواقع ليفرض معانيه على النص، وإنما يبدأ من النص نفسه، مستحضرًا سياقه اللغوي والموضوعي والمقامي، ثم ينظر في كيفية تنزيل هداياته على الواقع. وبهذا يصبح التجديد عملية علمية منضبطة، تقوم على فهم النص أولًا، ثم استثمار معانيه في معالجة القضايا المتجددة، لا على إعادة تشكيل النص وفق الرؤى الفكرية المعاصرة.

وقد أدرك علماء التفسير هذا المعنى، فقرروا أن القرآن الكريم يتضمن أصولًا وقواعد عامة تتجدد تطبيقاتها بتجدد الوقائع، مع بقاء دلالاتها الأصلية ثابتة. ومن هنا فإن السياق لا يقيد صلاحية النص، بل يكشف عن أبعادها، لأنه يحدد المراد من الخطاب، ثم يفتح المجال لتطبيقه على ما يستجد من أحوال في حدود الضوابط الشرعية واللغوية. (ابن تيمية، *مقدمة في أصول التفسير*، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ص93-101؛ وأبو إسحاق الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ج3، ص31-45، وج4، ص244-250؛ وبدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج2، ص192-195).

2/ الضوابط المنهجية للتجديد في ضوء السياق

إن التجديد في فهم القرآن الكريم لا يكون صحيحًا إلا إذا انطلق من ضوابط علمية تمنع الانحراف في تفسير النصوص، ومن أهم هذه الضوابط مراعاة السياق؛ إذ لا يجوز تفسير الآية بمعزل عن الآيات السابقة واللاحقة، أو إهمال موضوع السورة، أو تجاوز أسباب النزول إذا كان لها أثر في بيان المعنى.

كما يقتضي المنهج العلمي الجمع بين السياق اللغوي والسياق الموضوعي؛ فالمعنى لا يستفاد من دلالة اللفظ وحدها، بل من انتظامه في التركيب، ومن علاقته بمقاصد السورة ووحدة موضوعها. ولذلك فإن حمل الألفاظ على معانٍ لم يدل عليها السياق يعد خروجًا عن المنهج التفسيري الذي سار عليه المفسرون.

ومن الضوابط كذلك الرجوع إلى تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، والاستفادة من اجتهادات المفسرين المعتبرين، لأن هذه المصادر تمثل الإطار

العلمي الذي يضبط عملية الفهم، ويحول دون إخضاع النص للأهواء أو القراءات المنفصلة عن أصول التفسير (البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج2، ص156-170).

ولا يقل أهمية عن ذلك التمييز بين ما هو ثابت في النص، وما هو متغير في الواقع؛ فالنص القرآني ثابت في ألفاظه ودلالاته الأصلية، أما التطبيقات والاجتهادات فهي التي تتجدد بحسب تغير الأحوال والمصالح، وهو ما يجعل التجديد مرتبطًا بفقه التنزيل لا بتغيير مدلولات النصوص.

3/ القيمة التجديدية للسياق في قصة شعيب عليه السلام

تكشف قصة شعيب عليه السلام عن نموذج تطبيقي واضح لدور السياق في تجديد قراءة الخطاب القرآني؛ إذ إن الآيات لم ترد لمعالجة حادثة تاريخية خاصة بقوم مدين، وإنما جاءت لتقرير سنن اجتماعية وأخلاقية تتجاوز حدود الزمان والمكان.

فالسياق العقدي في القصة يبين أن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح العقيدة، لأن توحيد الله تعالى هو الأساس الذي تنبني عليه سائر القيم والأحكام. كما يكشف السياق الاجتماعي والاقتصادي أن الغش في المعاملات ليس مجرد مخالفة فردية، وإنما صورة من صور الإفساد في الأرض، لما يترتب عليه من ضياع الحقوق واختلال ميزان العدالة بين الناس.

ويبرز السياق الحجاجي في القصة منهج القرآن في الدعوة إلى الإصلاح، حيث اعتمد شعيب عليه السلام على الحوار، وإقامة الحجة، وربط الدعوة بالسلوك العملي، وهو ما يجعل خطابه نموذجًا للدعوة القائمة على الحكمة والإقناع، لا على الإكراه أو المصادرة.

وتتجلى القيمة التجديدية للسياق في أن هذه المبادئ لا تنحصر في مجتمع مدين، وإنما تمتد إلى كل مجتمع تظهر فيه صور الظلم الاقتصادي أو الفساد الأخلاقي أو الانحراف العقدي. غير أن هذا الامتداد لا يعني تغيير معنى الآيات أو تحميلها ما لا تحتمل، بل يعني استحضار مقاصدها العامة في ضوء سياقها الأصلي، ثم تنزيلها على الوقائع المتجددة وفق الضوابط التي قررها علماء التفسير وأصول الفقه (ابن تيمية، *مقدمة في أصول التفسير*، تحقيق عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ص93-101).

مجلة آمنير
المجلد03 عدد خاص / جويلية 2026

ومن ثم فإن القراءة السياقية لقصة شعيب عليه السلام تؤكد أن القرآن الكريم يقدم نموذجًا متكاملًا للإصلاح، يجمع بين سلامة الاعتقاد، واستقامة السلوك، وتحقيق العدالة، واعتماد الحوار في الدعوة، وهي مبادئ تبقى صالحة للاهتداء بها في مختلف العصور، لأن مصدر صلاحيتها هو ثبات النص وعموم هداياته، لا إخراجه عن سياقه أو إعادة تأويله بما يخالف دلالاته.

4/ آفاق المنهج السياقي في الدراسات القرآنية المعاصرة

أصبح المنهج السياقي في الدراسات القرآنية المعاصرة من أبرز المناهج التي أسهمت في تجديد البحث التفسيري، لما يوفره من أدوات لفهم النص في ضوء بنيته الداخلية وعلاقاته النصية ومقاصده العامة. وقد أسهم هذا المنهج في تجاوز كثير من القراءات الجزئية التي كانت تعتمد على اقتطاع الآيات من سياقها، أو الاكتفاء بالدلالة المعجمية للألفاظ دون مراعاة انتظامها في الخطاب.

غير أن الإفادة من المنهج السياقي تظل رهينة بالالتزام بضوابط التفسير، لأن تجاوز هذه الضوابط قد يحول السياق من وسيلة لفهم النص إلى وسيلة لتوجيهه نحو معانٍ لم يقصدها الخطاب. ومن ثم فإن القيمة العلمية للسياق لا تكمن في كونه أداة لتبرير القراءات المعاصرة، وإنما في كونه معيارًا لترشيد تلك القراءات وربطها بمراد النص ومقاصده. (أبو إسحاق الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ج3، ص283-291).

وبذلك يتبين أن التجديد الحقيقي في قراءة القرآن الكريم لا يتحقق بإنتاج معانٍ جديدة خارج حدود النص، وإنما يتحقق بإعادة استثمار دلالاته الأصيلة في معالجة قضايا الإنسان المتجددة، من خلال قراءة علمية تستند إلى السياق، وتستوعب جهود المفسرين، وتراعي مقاصد الشريعة، فتجمع بين أصالة النص وحيوية تنزيله على الواقع.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة أثر السياق في توجيه دلالة الخطاب القرآني وتجديد قراءته، متخذةً من قصة شعيب عليه السلام نموذجًا تطبيقيًا؛ للكشف عن الدور الذي يؤديه السياق في فهم

النص القرآني، وبيان مقاصده، وترجيح دلالاته. وقد أظهرت الدراسة أن السياق ليس عنصرًا مساعدًا في التفسير فحسب، بل هو أصل منهجي تتوقف عليه سلامة الفهم، إذ يسهم في تحديد المعنى المقصود، وربط الآيات بعضها ببعض، والكشف عن العلاقات القائمة بين الألفاظ والتراكيب والمقاصد.

كما بينت الدراسة أن القرآن الكريم يعتمد بناءً سياقيًا محكمًا، يجعل من ترابط الآيات ووحدة السورة وملابسات الخطاب وسائل أساسية لفهم المراد الإلهي، وأن إغفال السياق يؤدي في كثير من الأحيان إلى تجزئة النص، أو تحميله معاني لا ينهض بها دليله اللغوي ولا مقصده الشرعي.

ومن خلال التطبيق على قصة شعيب عليه السلام، اتضح أن السياق العقدي يمثل الأساس الذي تنتظم حوله بقية عناصر القصة؛ إذ يبدأ الخطاب بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، ثم ينتقل إلى معالجة الفساد الاقتصادي والاجتماعي بوصفه أثرًا من آثار الانحراف العقدي. كما أبرزت الدراسة أن السياق الاجتماعي والاقتصادي يكشف عن شمول الخطاب القرآني في معالجة قضايا العدالة، وصيانة الحقوق، وتحريم الغش والاستغلال، وأن هذه المبادئ لا تنحصر في مجتمع مدين، وإنما تمثل قيمًا إنسانية عامة تستمر صلاحيتها في مختلف العصور.

وأوضحت الدراسة كذلك أن السياق الحجاجي في قصة شعيب عليه السلام يقدم نموذجًا قرآنيًا في الدعوة والإقناع، يقوم على الحكمة، وإقامة البرهان، وربط القول بالعمل، ومخاطبة العقل والوجدان، وهو ما يعكس المنهج القرآني في بناء الحوار مع المخالفين.

كما أكدت الدراسة أن التجديد في قراءة الخطاب القرآني لا يعني تغيير دلالات النص أو إخضاعه لمتغيرات الواقع بعيدًا عن ضوابط التفسير، وإنما يتمثل في استثمار الهدايات التي يتضمنها النص في معالجة القضايا المعاصرة، مع المحافظة على دلالاته الأصلية، والالتزام بالسياق اللغوي والموضوعي والمقامي، والاستناد إلى أصول التفسير وقواعده.

مجلة آمنير
المجلد03 عدد خاص / جويلية 2026

قائمة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م.